

شهر رمضان

العدد (٦٩) رمضان : (١٣٩٠هـ)، أكتوبر: (١٩٧٠م)

حل بنا شهر عظيم مبارك ألا وهو شهر رمضان ، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن ، شهر العتق والغفران ، شهر الصدقات والإحسان ، شهر تفتح فيه أبواب الجنات وتضاعف فيه الحسنات ، وتقال فيه العثرات ، شهر تجاب فيه الدعوات ، وترفع الدرجات ، وتغفر فيه السيئات ، شهر يجود الله فيه سبحانه على عباده بأنواع الكرامات ، ويجزل فيه لأوليائه العطيات ، شهر جعل الله صيامه أحد أركان الإسلام فصامه المصطفى ﷺ وأمر الناس بصيامه وأخبر عليه الصلاة والسلام أن من صامه إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ومن قامه إيماناً واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم ، فاستقبلوه رحمكم الله بالفرح والسرور والعزيمة الصادقة على صيامه وقيامه والمسابقة فيه إلى الخيرات والمبادرة فيه إلى التوبة النصوح من سائر الذنوب والسيئات ، والتناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى كل خير لتفوزوا بالكرامة والأجر العظيم .

وفي الصيام فوائد كثيرة وحِكَم عظيمة منها :تطهير النفوس وتهذيبها ، وتزكيتها عن الأخلاق السيئة كالأشر والبطر والبخل ،وتعويدها الأخلاق

الكريمة ، كالصبر والحلم والجود والكرم ومجاهدة النفس فيما يرضي الله ويقرب لديه .

ومن فوائد الصيام : أنه يعرف العبد نفسه وحاجته وضعفه وفقره لربه سبحانه وتعالى ويذكره بعظيم نعم الله عليه ، ويذكره أيضًا بحاجة إخوانه الفقراء ، فيوجب له ذلك شكر الله- سبحانه- والاستعانة بنعمه على طاعته ، ومواساة إخوانه الفقراء والإحسان إليهم .

وقد أشار الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]

فأوضح- سبحانه- أنه كَتَبَ علينا الصيام لنتقيه سبحانه ، فدلّ على أن الصيام وسيلة للتقوى ، والتقوى هي : طاعة الله ورسوله بفعل ما أمر الله به ، وترك ما نهى الله عنه عن إخلاص لله- عز وجل- ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يتقي العبد عذاب الله وغضبه ، فالصيام شعبة عظيمة من شعب التقوى ، ووسيلة قوية إلى التقوى في بقية شؤون الدين والدنيا .

وقد أشار النبي ﷺ إلى بعض فوائد الصوم في قوله ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضُ للبصر وأحصنُ للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء»[1] فبين النبي ﷺ أن

(١) أخرجه البخاري: [٥٠٦٥].

الصوم وِجَاء للصائم ووسيلة لطهارته وعفافه ، وما ذاك إلا لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، والصوم يضيق تلك المجاري ، ويذكر بالله وعظمته ، فيضعف سلطان الشيطان ، ويقوي سلطان الإيمان وتكثر به الطاعات من المؤمن ، وتقلّ به المعاصي .

وفي الصوم فوائد كثيرة غير ما تقدم تظهر للمتأمل من ذوي البصيرة ، ومنها : أنه يطهر البدن من الأخلاط الرديئة ، ويكسبه صحة ، وقد اعترف بذلك الكثير من الأطباء ، وعالجوا به كثيرًا من الأمراض . وقد ورد في فضله وفريضته آيات وأحاديث كثيرة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۚ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٤]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٤ – ١٨٥]

وفي الصحيحين [البخاري ٨ ، ومسلم ٧] ، عن ابن عمر– رضي الله عنهما– قال : قال رسول الله ﷺ : «بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول لله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت» .

وأخرج الترمذي [٢٦١٦] عن معاذ بن جبل ﷺ قال : قلت : يا رسول الله ، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني عن النار فقال : «لقد سألت عن عظيم ، وإنه ليسير على من يسّره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئًا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، ثم قال النبي ﷺ ألا أدلُّك على أبواب الخير : الصوم جُنّة ، والصدقة تُطْفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل في جوف الليل ، ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٦ ـ ١٧]

ثم قال ﷺ : «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه» قلت : بلى يا رسول الله ، فقال : «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» ، ثم قال ﷺ : «ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» قلت بلى يا رسول الله ، قال : «كُفَّ عليك هذا وأشار إلى لسانه» فقلت يا رسول : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال ﷺ «ثكِلَتْك أمك يا معاذ وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم ، أو قال على مناخرهم ، إلا حصائدُ ألسنتهم»؟ .

إن الصوم عمل صالح عظيم ، وثوابه جزيل ، ولاسيما صوم رمضان فإنه الصوم الذي فرضه الله على عباده ، وجعله من أسباب الفوز لديه ،

وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : «كلُ عملِ ابن آدم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضِعْف ، يقول الله– عز وجل –إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخُلوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[1] وفي الصحيح [البخاري ٣٢٧٧] عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغُلّقت أبواب النار ، وسُلسِلت الشياطين» .

وأخرج الترمذي[٦٨٢] وابن ماجه [١٦٤٢]عن النبي ﷺ أنه قال : «إذا كان أول ليلة من رمضان صُفّدت الشياطين ومردة الجن ، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب ، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب ، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة» .

وجاء عن النبي ﷺ أنه كان يُبَشّر أصحابه بقدوم شهر رمضان ويقول لهم : «جاء شهر رمضان بالبركات فمرحبًا به من زائر وآت» ، وأخرج ابن خزيمة [١٨٨٧] عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه خطب الناس في آخر يوم من شعبان فقال : «أيها الناس : إنه قد أظلّكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعًا ، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى

(١) أخرجه ابن خزيمة: [١٨٩٧].

فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، إلى أن قال : فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بها ربكم وخصلتين لا غناء بكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله والاستغفار ، وأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار» .

وفي الحديث الصحيح عن ابي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «من صام رمضان ايمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر الله له ما تقدم من ذنبه»[(١)] .

وثبت عنه ﷺ أنه كان في الغالب لا يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثًا ، وثبت عنه ﷺ انه في بعض الليالي يصلي ثلاث عشرة ركعة وفي بعضها أقل من ذلك ، وليس في قيام رمضان حد محدود لقول النبي ﷺ لما سئل عن قيام الليل قال : «مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى» [(٢)] ولم يحدد ﷺ للناس في قيام الليل ركعات معدودة

(١) أخرجه البخاري : [٣٨].
(٢) أخرجه البخاري: [٤٧٢].

بل اطلق لهم ذلك ، فمن أحب أن يصلي إحدى عشرة ركعة ، أو ثلاث عشرة ركعة أو ثلاثًا وعشرين أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه ولكن الافضل هو ما فعله النبي ﷺ ودام عليه في أغلب الليالي وهو إحدى عشرة ركعة من الطمأنينة في القيام والقعود والركوع والسجود وترتيل التلاوة وعدم العجلة لأن روح الصلاة هو الإقبال عليها بالقلب والخشوع فيها وأداؤها كما شرح الله بإخلاص وصدق ورغبة ورهبة وحضور قلب ، كما قال الله سبحانه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]

وقال النبي ﷺ: «وجعلت قرة عيني في الصلاة» [١] وقال للذي أساء في صلاته «اذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعًا ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم ارفع حتى تطمئن جالسًا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها» [٢] .

وكثير من الناس يصلي في قيام رمضان صلاة لا يعقلها ولا يطمئن فيها ، بل ينقرها نقرًا وذلك لا يجوز بل هو منكر لا تصح معه الصلاة ، فالواجب الحذر من ذلك ، وفي الحديث عنه ﷺ قال : «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق صلاته قالوا : يا رسول الله كيف يسرق صلاته؟ قال :

(١) أخرجه النسائي: [٣٩٣٩].
(٢) أخرجه البخاري: [٦٢٥٢].

لا يتم ركوعها ولا سجودها ، وثبت عنه ﷺ انه أمر الذي نقر صلاته أن يعيدها» .[1]

فيا معشر المسلمين عظموا الصلاة وأدوها كما شرح الله واغتنموا هذا الشهر العظيم وعظموه رحمكم الله بأنواع العبادة والقربات ، وسارعوا فيه الى الطاعات فهو شهر عظيم جعله الله ميدانًا لعباده يتسابقون اليه فيه بالطاعات ، ويتنافسون في أنواع الخيرات ، فأكثروا فيه رحمكم الله من الصلاة والصدقات وقراءة القرآن الكريم والإحسان إلى الفقراء والمساكين والأيتام ، والتعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى الخير .

وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان فاقتدوا به ﷺ في مضاعفة الجود والإحسان في شهر رمضان ، وأعينوا إخوانكم الفقراء على الصيام والقيام ، واحتسبوا أجر ذلك عند الملك العلام واحفظوا صيامكم عما حرمه الله عليكم من الأوزار والآثام ، فقد صح عن النبي ﷺ إنه قال : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» [2] ، وقال ﷺ: «الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق فإن امرؤ سابه أحد فليقل اني أمرؤ صائم» .[3]

---

(١) أخرجه أحمد: [١١٥٤٩].
(٢) أخرجه البخاري: [١٩٠٣].
(٣) أخرجه النسائي: [٢٢١٧]

وجاء عن النبي ﷺ انه قال : «ليس الصيام من الطعام والشراب وإنما الصيام من اللغو والرفث» (١) وصح عن النبي ﷺ أنه قال : «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر» .(٢)

وقال جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء» (٣) .

فينبغي للصائم الإكثار من تلاوة القرآن بتدبر وتعقل ، والإكثار من الصلوات والصدقات والذكر والاستغفار وسائر أنواع القربات في الليل والنهار اغتنامًا للزمان ، ورغبة في مضاعفة الحسنات ، ومرضات فاطر الأرض والسماوات ،واحذروا رحمكم الله كل ماينقص الصوم ويضعف الأجر ، ويغضب الرب عز وجل من سائر المعاصي ، كالتهاون بالصلاة ، والبخل بالزكاة ، وأكل الربا ، وأكل أموال اليتامى ، وأنواع الظلم ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، والغيبة ، والنميمة ، والكذب ، وشهادة الزور ، والدعاوى الباطلة ، والأيمان الكاذبة ، والتكبر ، وإسبال الثياب ،واستماع الأغاني ،وآلات الملاهي ،وتبرج النساء وعدم تستُّرهن

(١) أخرجه ابن أبي شيبة: [٨٩٧٥].
(٢) أخرجه مسلم: [٥٧٤].
(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: [٣٣٧٤].

من الرجال ، وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله .

وهذه المعاصي التي ذكرناها محرمة في كل زمان ومكان ، ولكنها في رمضان أشد تحريمًا ، وأعظم إثمًا لفضل الزمان وحرمته ، ومن أقبح هذه المعاصي واخطرها على المسلمين ما ابتلي به الكثير من الناس من التثاقل عن الصلوات والتهاون بأدائها في الجماعة في المساجد ، ولاشك أن هذا من أقبح خصال أهل النفاق ومن أسباب الزيغ والهلاك ، قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]

وقال النبي ﷺ «من سمع النداء فلم يأت فلا صلاة له إلا من عذر»[(١)] ، وقال له ﷺ رجل أعمى يا رسول الله إني بعيد الدار عن المسجد وليس لي قائد يلائمني ، فهل لي من رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي ﷺ «هل تسمع النداء للصلاة؟ قال : نعم ، قال : فأجب» وقال : عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه وهو من كبار أصحاب رسول الله ﷺ : لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة في الجماعة إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، وقال رضي الله عنه : لو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم [(٢)] .

ومن أخطر المعاصي اليوم أيضًا ما بلي به الكثير من الناس من

(١) أخرجه ابن ماجة: [٧٩٣].
(٢) أخرجه مسلم: [١٥٢٠].

استماع الأغاني وآلات الطرب وإعلان ذلك في الأسواق وغيرها ، ولاريب أن هذا من أعظم الأسباب في مرض القلوب وصدها عن ذكر الله وعن الصلاة وعن استماع القرآن والانتفاع به ، ومن أعظم الأسباب أيضًا في عقوبة صاحبه بمرض النفاق والضلال عن الهدى كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان: ٦]

وقد فسر أهل العلم «لهو الحديث» بأنه الغناء وآلات اللهو وكل كلام يصد عن الحق ، وقال النبي ﷺ «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف» [١] والحر هو الفرج ، والحرير معروف ، والخمر هو كل مسكر ، والمعازف هي آلات الملاهي كالعود والكمان وسائر آلات الطرب ، والمعنى أنه يكون في آخر الزمان قوم يستحلون الزنا ولباس الحرير وشرب المسكرات واستعمال آلات الملاهي ، وقد وقع ذلك كما اخبر به النبي ﷺ وهذا من علامات نبوته ودلائل رسالته عليه الصلاة والسلام ، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع [٢] .

فاتقوا الله أيها المسلمون واحذروا ما نهاكم الله عنه ورسوله واستقيموا على طاعته في رمضان وغيره وتواصوا بذلك وتعاونوا عليه لتفوزوا

(١) أخرجه البخاري: [٥٥٩٠].
(٢) أخرجه البيهقي: [٢١٥٣٦].

بالكرامة والسعادة والعزة والنجاة في الدنيا والآخرة ، والله المسؤول أن يعصمنا والمسلمين من أسباب غضبه ،وأن يتقبل منا جميعًا صيامنا وقيامنا وأن يصلح ولاة أمر المسلمين وأن ينصر بهم دينه ويخذل بهم أعداءه وأن يوفق الجميع للفقه في الدين والثبات عليه والحكم به والتحاكم إليه في كل شيء ، إنه على كل شيء قدير وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم .

* * *